

مُوسَى وَالْعُلَيْقَةُ الْمُتَّقِدَةُ

المحاضرة ٣: نارٌ آكِلَةٌ

أر. سي. سزول

نُتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِمُوسَى وَالْعُلَيْقَةَ الْمُتَّقِدَةَ وَكُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ الْبِقَاءِ بِالذَّاتِ. فِي مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ ذَكَرْتُ أَنَّهُ مِنْ مَنْظُورِ تَارِيخِ الْفِدَاءِ، تِلْكَ الْحَادِثَةُ بِالذَّاتِ لَمْ تُغَيِّرْ حَيَاةَ مُوسَى فَحَسَبُ، بَلْ شَكَّلَتْ نُقْطَةً تَحْوِلُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا. نَحْنُ أَطَّلَعْنَا عَلَى السَّرْدِ الرَّئِيسِيِّ لِلْحَادِثَةِ فِي الْمُحَاضَرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. وَمِنَ الْآنَ فَصَاعِدًا أَوْدُ التَّطَرُّقَ إِلَى بَعْضِ الْآثَارِ اللَّاهُوتِيَّةِ وَالتَّشْعُبَاتِ الْمُتَرْتَبَةِ عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ.

وَاللَّيْلَةَ، أَوْدُ لَفَتَ انْتِبَاهِكُمْ مُجَدِّدًا إِلَى الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ، حَيْثُ نَقَرْنَا الْكَلِمَاتِ الْآتِيَّةِ: "وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرَعَى عَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مَدْيَانَ، فَسَاقَ الْعَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيبَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلَائِكُ الرَّبِّ بِلَهِيْبِ نَارٍ مِنْ وَسْطِ عُلَيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ! فَقَالَ مُوسَى: "إِمِيلُ الْآنَ لَا نُنْظُرُ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُلَيْقَةُ؟"

وَفَقَّ التَّقْلِيدِ الْيَهُودِيِّ، هَذِهِ الْمِنْطَقَةُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَلِيئَةٌ بِالنَّوْعِ الْأَكْثَرِ شُيُوعًا مِنَ الشُّجَيْرَاتِ، وَهِيَ شُجَيْرَاتُ الْعُلَيْقِ. وَيَفْتَرِضُ الْمُؤَرِّخُونَ الْيَهُودُ أَنَّ هَذِهِ الشُّجَيْرَةَ بِالذَّاتِ هِيَ شُجَيْرَةٌ عَادِيَّةٌ وَبَسِيطَةٌ، لَيْسَتْ لَهَا أَهْمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ بِحَدِّ ذَاتِهَا. وَحِينَ مَرَّ مُوسَى بِهَذَا الْاِخْتِبَارِ، أَعْتَقِدُ أَنَّ أَوَّلَ أَمْرٍ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَهُ هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ أَيُّ جَانِبٍ فَائِقٍ لِلطَّبِيعَةِ فِي تِلْكَ الْعُلَيْقَةِ، فَهِيَ كَانَتْ شُجَيْرَةً عَادِيَّةً وَبَسِيطَةً، حَالِهَا حَالُ أَيِّ شُجَيْرَةٍ عَادِيَّةٍ وَبَسِيطَةٍ فِي الْبَرِّيَّةِ.

وَبِالنَّاتِي، لَا يُمَكِّنُ الْقَوْلُ إِنَّ مُعْجَزَةً حَدَثَتْ حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ عُلَيْقَةً تَشْتَعِلُ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهَا أَنْ تَشْتَعِلَ إِلَى الْأَبَدِ بِدُونِ أَنْ تُخْسَرَ أَيًّا مِنْ مَوَادِّهَا جَرَاءَ عَمَلِيَّةِ الْاِشْتِعَالِ. وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْمَرَّاتِ الَّتِي نَقَرْنَا فِيهَا الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، فَتَكُونُ الْكَلِمَاتُ الَّتِي نَقَرْنَا فِيهَا مُضَلَّلَةً نَوْعًا مَا، لِأَنَّ مُوسَى يَصِفُ هَذَا الْاِخْتِبَارَ انْطِلَاقًا مِمَّا نُسَمِّيهِ مَنْظُورًا قَائِمًا عَلَى الظَّوَاهِرِ، أَيُّ أَنَّهُ يُخْبِرُنَا عَنْهُ انْطِلَاقًا مِمَّا يَبْدُو عَلَيْهِ.

بَيْنَمَا كَانَ يَجُولُ مَعَ عَنَمِهِ فِي الْبَرِّيَّةِ، شَاهَدَ تِلْكَ الظَّاهِرَةَ الْغَرِيبَةَ الْمُتَمَثِّلَةَ بِالْعُلَيْقَةِ الْمُشْتَعِلَةِ، فَالْتَفَتَ لِيَرَى مَا هِيَ تِلْكَ الْعُلَيْقَةُ الْمُشْتَعِلَةُ، فَذَهَلَ حِينَ رَأَى أَنَّ الْعُلَيْقَةَ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ اِشْتِعَالِهَا، لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ. أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَا رَأَاهُ مُوسَى -عَلَى الْأَرْجَحِ- هُوَ نَارٌ دَاخِلَ الْعُلَيْقَةِ، وَلَمْ تَكُنْ نَارًا بِالْقُرْبِ مِنَ الْعُلَيْقَةِ. هِيَ لَمْ تَكُنْ فِي أَعْلَى الْعُلَيْقَةِ أَوْ فَوْقَهَا مِثْلَ اللَّهِيْبِ وَالْأَسِنَّةِ النَّارِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْيَوْمِ الْخَمْسِينَ فِي تِلْكَ الْمُنَاسَبَةِ. لَكِنَّ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ مُوسَى كَانَتْ النَّارُ تَتَصَاعَدُ مِنْ دَاخِلِ الْعُلَيْقَةِ.

مَا أَحَاوِلُ قَوْلَهُ لَكُمْ هُوَ أَنَّ دَلَالَهَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ الَّتِي تُفِيدُ بِأَنَّ الْعُلَيْقَةَ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعُلَيْقَةَ بِحَدِّ ذَاتِهَا لَمْ تَكُنْ تَشْتَعِلُ. كَانَتِ النَّارُ مَوْجُودَةً دَاخِلَ الْعُلَيْقَةِ بِدُونِ أَنْ تَتَدَلَّعَ مِنْهَا. مَا مَعْنَى هَذَا الْأَمْرِ؟ وَمَا هِيَ دَلَالَتُهُ؟ هَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ النَّارَ الَّتِي رَأَاهَا مُوسَى كَانَتْ مُسْتَقَلَّةً عَنِ الْعُلَيْقَةِ، وَلَمْ تَكُنْ تَسْتَخْدِمُ الْعُلَيْقَةَ كَوُقُودٍ. لِهَذَا السَّبَبِ، هِيَ لَمْ تَحْتَرِقُ. كَانَتِ النَّارُ الَّتِي شَاهَدَهَا مُوسَى تَتَقَدُّ بِفِعْلِ قُوَّتِهَا الذَّاتِيَّةِ، كَانَتْ مُوَلَّدَةً ذَاتِيًّا وَلَيْسَ بِفِعْلِ احْتِرَاقِ الْعُلَيْقَةِ. إِذَا، مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ مَا نَرَاهُ هُنَا هُوَ مِثَالٌ كِتَابِيٌّ عَمَّا نُسَمِّيهِ "ثِيُوفَانِي"، أَيْ "الظُّهُورَ الْإِلَهِيَّ".

يَعْنِي الْمَصْطَلَحُ "ثِيُوفَانِي" -الجزء الأول من الكلمة "ثيو" مشتق من كلمة "ثيوس"، أي الله، والجزء الثاني "فاني" مشتق من كلمة "فانيو"، ويعني "ظهور". الله الذي نعبدُه هو روح، هو غير منظور. ولا يمكن رؤية جوهره غير المنظور بالعين البشرية. لكن في بعض المناسبات في تاريخ الفداء يظهر الله غير المنظور نفسه من خلال إعلان مرئي. هذا ما نصادفه هنا في هذا الاختبار. إن وجود عُلَيْقَةٍ مَعَ نَارٍ فِيهَا هُوَ مَا نُسَمِّيهِ فِي اللَّاهُوتِ -حين لا تحرق النار العُلَيْقَةَ- عَمَلٌ "كُونْتِرا نَاتُورام"، عَمَلٌ "كُونْتِرا نَاتُورام". تعني كلمة "كُونْتِرا" "مناقصًا"، و"ناتُورام" تعني "الطبيعة".

إِذَا، هَذَا الْعَمَلُ الَّذِي يَتَأَمَّلُ فِيهِ مُوسَى هُوَ أَمْرٌ مُنَاقِضٌ تَمَامًا لِلطَّبِيعَةِ، وَهُوَ لَيْسَ ظَاهِرَةً طَبِيعِيَّةً، إِنَّهَا ظَاهِرَةٌ فَائِقَةٌ لِلطَّبِيعَةِ. عَادَةً، يَتِمُّ اسْتِخْدَامُ عِبَارَةِ "كُونْتِرا نَاتُورام" لَوْصِفِ مَا نُسَمِّيهِ بِ"الْمُعْجَزَاتِ". أَنَا لَسْتُ مُفْتِنَعًا بِأَنَّ مَا شَهِدَهُ هُوَ مُعْجَزَةٌ بِالضَّرُورَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ وَاقِعًا فَائِقًا لِلطَّبِيعَةِ. وَمَا كَانَ يُعَايَنُهُ بِكُلِّ وُضُوحٍ فِي هَذِهِ النَّارِ هُوَ ظُهُورٌ مَنْظُورٌ لِمَجْدِ اللَّهِ. نَحْنُ نَسْمَعُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عَنِ التَّجَلِّيِ الظَّاهِرِيِّ لِمَجْدِ اللَّهِ، وَنُسَمِّي هَذَا الْأَمْرَ "شِيكَايْنَا جُلُورِي"، أَيْ الْمَجْدُ اللامع. إِنَّهُ الْمَجْدُ الْمُشْعُّ وَالْمُنْبَثِقُ مِنْ كِيَانِ اللَّهِ الْقَدِيرِ وَالْمَهِيْبِ جِدًّا لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يَعْمُرُ أَيَّ شَخْصٍ يَتَلَامَسُ مَعَهُ. أُرِيدُ أَنْ نَرَى أَنَّهُ فِي تَارِيخِ الْفِدَاءِ، فِي مَرَاجِلِ حَاسِمَةٍ وَفِي لِحَظَاتِ حَاسِمَةٍ، أَعْلَنَ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ لِلشَّعْبِ مِنْ خِلَالِ الظُّهُورِ الْمَنْظُورِ، الَّذِي يَتِمُّ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِشَكْلِ أَسَاسِيٍّ مِنْ خِلَالِ نَوْعٍ مِنَ النَّارِ.

أَوْدُ أَنْ نُخَصِّصَ بَعْضَ الْوَقْتِ اللَّيْلَةِ لِلتَّأَمُّلِ فِي بَعْضِ مِنْ هَذِهِ الْوَقَائِعِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ خُصُوصًا، وَإِنَّمَا لَيْسَ حَضْرًا، حَيْثُ نَرَى ظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ يَنْبَثِقُ مِنْ كِيَانِ اللَّهِ الدَّاخِلِيِّ الْكَامِلِ وَالْقُدُوسِ وَالْفَائِقِ. فَلْتَرْجِعْ إِلَى حَادِثَةِ سَابِقَةٍ فِي أَسْفَارِ مُوسَى الْحُمْسَةِ، إِلَى الْأَصْحَاحِ الْحَامِسِ عَشَرَ مِنْ سَفَرِ التَّكْوِينِ. فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ، نَقَرُّ عَنْ حَادِثَةٍ تَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَوَعَدَهُ إِيَّاهُ بِأَنْ يَكُونَ أَبًا لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ. تَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ دَعَا إِبْرَاهِيمَ فَائِلًا: "أَنَا تُرْسُ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا". فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ "أَيُّ أَجْرٍ تُعْطِينِي؟" وَهُوَ كَانَ وَاحِدًا مِنْ أَعْنَى الرِّجَالِ فِي الْعَالَمِ. هُوَ قَالَ: "لَدَيَّ مُمْتَلَكَاتٌ كَثِيرَةٌ لَكِنْ لَيْسَ لَدَيَّ وَرِيثٌ، لَيْسَ لَدَيَّ ابْنٌ. وَرِيثِي هُوَ عَبْدِي أَلِيْعَازَرُ الدَّمَشَقِيُّ". فَقَالَ اللَّهُ: "لا، لا، لا، لا يَرِثُكَ أَلِيْعَازَرُ، بَلِ سَأُعْطِيكَ ابْنًا يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ. وَرَوْجَتُكَ فِي شَيْخُوخَتِهَا سَتَحْمِلُ لَكَ ابْنًا، وَهُوَ سَيُصْبِحُ أَبًا لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ". وَنَحْنُ نَعْرِفُ بَقِيَّةَ بُنُودِ هَذَا الْعَهْدِ. مَكْتُوبٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ "آمَنَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا". لَكِنْ بَيْنَمَا كَانَ اللَّهُ يُعْلِنُ كُلَّ تِلْكَ الْوَعُودِ

الَّتِي سَيَتَمَّمُهَا لِإِبْرَاهِيمَ، عَاشَ إِبْرَاهِيمُ الصِّرَاعَاتِ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نَمُرَّ بِهَا جَمِيعًا فِي وَضْعٍ مُمَاطِلٍ، وَقَالَ لِلَّهِ: "كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَعْرِفَ ذَلِكَ؟ مَا الَّذِي يُؤَكِّدُ لِي أَنَّ الْأَمْرَ سَيَحْدُثُ؟"

أَعْتَقِدُ أَنِّي قُلْتُ لِجَمَاعَةِ "سَأَنْتِ أَنْدُرُوز" فِي مُنَاسَبَاتٍ أُخْرَى، إِنَّ وَاحِدَةً مِنْ أَعْرَبِ الظَّوَاهِرِ الَّتِي أَعْرِفُهَا فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ هُوَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي اعْتَادَ النَّاسُ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ حِينَ أَذْهَبَ إِلَى مُؤْتَمَرٍ مَا وَأَكُونُ أَنَا الْمُتَكَلِّمَ إِلَى جَانِبِ مُتَكَلِّمِينَ آخَرِينَ، يَأْتِي النَّاسُ لِحَقًّا وَيَطْلُبُونَ مِنِّي التَّوْقِيعَ عَلَى كِتَابِهِمُ الْمُقَدَّسِ كَمَا لَوْ أَنِّي أَنَا مُؤَلَّفُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. لَكِنِ هَذِهِ عَادَةٌ، وَأَنَا أُحَاوِلُ تَلْبِيَةَ طَلِبِهِمْ. لَكِنَهُمْ لَا يَطْلُبُونَ تَوْقِيعِي فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ مِنِّي تَدْوِينَ الْآيَةِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ إِلَى قَلْبِي. لَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْفِكْرَةُ، أَفْصِدُ، كَيْفَ يُمَكِّنُكُمْ اسْتِخْلَاصُ آيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالْقَوْلُ إِنَّهَا الْآيَةُ الَّتِي تَتَكَلَّمُ إِلَى قُلُوبِكُمْ؟ فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ كُلُّهُ يَتَكَلَّمُ إِلَى قُلُوبِنَا.

لَكِنِ النَّاسُ يَطْلُبُونَ مِنِّي ذَلِكَ، وَأَنَا أَكُونُ مُنْزَعَجًا قَلِيلًا حِينَ أَضَعُ تَوْقِيعِي عَلَى الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَدُونُ الْآيَةَ الَّتِي تَتَكَلَّمُ إِلَى قَلْبِي، فَأَنَا أَدُونُ سِفْرَ التَّكْوِينِ ١٥: ١٧ فَيَمْضُونَ، وَمَا يَحْدُثُ عَادَةً هُوَ أَنَّهُمْ بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ يَعُودُونَ إِلَيَّ وَيَسْأَلُونَنِي "هَلْ أَخْطَأْتُ بِتَدْوِينِ هَذِهِ الْآيَةِ هُنَا؟" فَأُجِيبُ: "لَا". فَيَقُولُونَ: "ذَهَبْتُ وَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي قُلْتُ إِنَّهَا تَتَكَلَّمُ إِلَى قَلْبِكَ وَلَمْ أَسْتَخْلِصْ أَيَّ مَعْنَى مَنْطِقِيٍّ مِنْهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ". ثُمَّ أَكْرَسُ بَعْضَ الْوَقْتِ لِأَفْسَرَهُمُ الْأَمْرَ. إِذَا، دَعُونِي أَقْرَأُ الْآيَةَ ١٧ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١٥ مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ "ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطْعِ". أَنَا أَقُولُ لِلنَّاسِ "إِذَا حَدَّثَ أَنْ تَمَّ احْتِجَازِي فِي سِجْنٍ فِي حَبْسِ انْفِرَادِيٍّ، وَسُمِحَ لِي بِقِرَاءَةِ آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كُلِّهِ، فَهَذِهِ هِيَ الْآيَةُ الَّتِي أَخْتَارُهَا". فَيَنْظُرُ إِلَيَّ النَّاسُ وَيُظَنُّونَ أَنِّي مُحْتَوَّنٌ. مَا الَّذِي يَجْرِي هُنَا؟

تُشَاهِدُونَ هَذَا التَّقْلِيدَ اللَّافِتَ حَيْثُ يَأْمُرُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِقِطْعِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا إِلَى نِصْفَيْنِ، وَتُعَايِنُونَ تِلْكَ الْقَوَاصِي الْمُلَطَّخَةَ بِالِدَمِ نَتِيجَةً وَضَعِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الطَّرِيقِ وَجَعَلَ مَمَرًا فِي وَسْطِهَا، وَوَضَعَ نَوْعَ مِنَ التَّحْدِي. ثُمَّ يَعْتَرِي خَوْفٌ رَهيبٌ إِبْرَاهِيمَ فِي تِلْكَ الرُّؤْيَا لَيْلًا، وَمَكْتُوبٌ "ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطْعِ". بِالتَّأَكِيدِ، مَا يَجْرِي هُنَا قَدْ لَا يَكُونُ وَاضِحًا لِلْجَمِيعِ، لَكِنَّ مَا يَجْرِي هُنَا وَاضِحٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ. فِي هَذَا النَّصِّ يَكْمُنُ حَقُّ الْقِطْعِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْعَهْدِ، حَيْثُ يُثَبِّتُ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرُّؤْيَا الَّتِي تَتَضَمَّنُ نَارًا وَمِصْبَاحَ نَارٍ وَتَنُورَ دُخَانٍ، يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطْعِ، وَهَذِهِ هِيَ رُؤْيَا ظُهُورِ مَجْدِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ. اللَّهُ هُوَ مَنْ ظَهَرَ فِي الْحُلْمِ وَجَالَ بَيْنَ قِطْعِ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَمَّ قِطْعُهَا إِلَى نِصْفَيْنِ.

وَهَذَا مَا يَقُولُهُ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ بِشَكْلِ دَرَامَاتِيكِيٍّ "يَا إِبْرَاهِيمَ، مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ وَاثِقًا مِنْ أَنِّي سَأَحَقِّقُ مَا وَعَدْتُكَ بِفِعْلِهِ؟ هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ. هَا قَدْ قَبِلْتُ التَّحْدِي. وَمَا أَفْصِدُ قَوْلَهُ لَكَ هُوَ أَنَّنِي إِذَا لَمْ أَحْفَظِ الْوَعْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ لَكَ، فَلَأُصْبِحَ

مِثْلَ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، مُقَطَّعًا إِلَى اثْنَيْنِ، وَلِيُصْبِحَ اللَّهُ عَيْزَ الْقَابِلِ لِلتَّغْيِيرِ مُتَغَيِّرًا، وَلِيُصْبِحَ السَّرْمَدِيُّ مُوَقَّتًا، وَاللَّامِتَّاهِي مُتَّاهِيًا. أَنَا لَا أَقْسِمُ لَكَ عَلَى قَبْرِ أُمِّي يَا إِبْرَاهِيمَ، أَنَا أَقْسِمُ لَكَ بِذَاتِي. أَنَا أَضَعُ أُلُوهُيَّتِي عَلَى الْمِحَكِّ حِينَ أَقْطَعُ لَكَ هَذَا الْوَعْدَ. ثُمَّ يَأْتِي كَاتِبُ رِسَالَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ عَلَى ذِكْرِ الْأَمْرِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حِينَ قَالَ: "إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَى اللَّهِ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ". كَانَ هَذَا قَسَمًا مُثَبَّتًا بِالنَّارِ، كَانَ قَسَمًا مُثَبَّتًا بِظُهُورِ مَجْدِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ لِإِبْرَاهِيمَ فِي عَثَمَةِ اللَّيْلِ. هُنَا نَجِدُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى يَمْرَآنَ فِي اخْتِبَارِ الْإِقَاءِ مَعَ ظُهُورِ مَجْدِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ وَسَطَ هَذِهِ النَّارِ، وَهُوَ عَيْزٌ حَيَاتُهُمَا.

فَلْتَنْتَقِلْ إِلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ وَوُجُودًا إِلَى سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ، حَيْثُ مَرَّ الرُّسُولُ بُولُسُ فِي اخْتِبَارِ الْخَلَاصِ عَلَى طَرِيقِ دِمَشْقَ. نَقَرْنَا فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْأَصْحَاحِ ٩ مَا يَلِي "أَمَّا سَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهْدَدًا وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَيْسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رِسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أَنَا مِنَ الطَّرِيقِ - أَيْ مَسِيحِيِّينَ - رِجَالًا أَوْ نِسَاءً، يَسْأَلُهُمْ مُوثِقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِي ذَهَابِهِ حَدَّثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَعَثَهُ أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ..." وَحِينَ تَذَكَّرُ تِلْكَ الْحَادِثَةَ لِاحِقًا أَمَامَ أَعْرِبِّيَّاسَ قَالَ "رَأَيْتُ نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ"، إِنَّهُ نُورٌ يُعْجَبِي. وَلَمْ يَرَهُ سَاوُلُ فَحَسَبَ، بَلْ رَأَاهُ الذَّاهِبُونَ مَعَهُ أَيضًا. "فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَسَمِعَ صَوْتًا يُكَلِّمُهُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: "سَاوُلُ سَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟" فَسَأَلَهُ: "مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟" فَقَالَ الرَّبُّ: "أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهْدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْتَفِسَ مَنَاخِسَ" فَسَأَلَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: "يَا رَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟"

أَرْجُو أَلَّا تَكُونُوا قَدْ نَسِيتُمْ الْقِصَّةَ الْمُوَازِيَةَ لِهَذِهِ، حِينَ ظَهَرَ اللَّهُ لِمُوسَى وَنَادَاهُ عَبْرَ تَكَرُّرِ اسْمِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ سَاعَلَقَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ لِاحِقٍ، وَهُوَ قَالَ لَهُ مِنْ وَسَطِ تِلْكَ الْعُلَيْقَةِ الْمُتَّقِدَةِ: "مُوسَى، مُوسَى". حِينَ ظَهَرَ مَجْدُ حُضُورِ اللَّهِ لِشَاوُلِ الطَّرْسُوسِيِّ، سَمِعَ مَجْدًا صَوْتٌ خَارِجٌ مِنْ وَسَطِ ذَلِكَ الْمَجْدِ الرَّائِعِ وَالْمُتَأَلِّقِ قَائِلًا لَهُ: "شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهْدُنِي؟" هَذِهِ هِيَ اللَّحْظَةُ، هَذَا هُوَ الْإِقَاءُ الَّذِي قَلَبَ حَيَاةَ بُولُسَ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ رَسُولٍ فِي عَصْرِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. مَا الَّذِي جَرَى؟ مَا الَّذِي التَّقَاهُ بُولُسُ؟ هُوَ تَوَاجَهَ مَعَ مَجْدِ اللَّهِ، وَتَوَاجَهَ مَعَ جَمَالِ مَجْدِ حُضُورِ اللَّهِ الْمُتَأَلِّقِ وَاللَّامِعِ.

ثُمَّ أَمَا كُنْ أُخْرَى حَدَثَ فِيهَا أَمْرٌ مُمَازِلٌ، لَكِنْ دَعَوْنِي أَذْكَرُكُمْ بِحَادِثَةٍ تَعْرِفُونَهَا جَمِيعًا، وَهِيَ لَمْ تُرَافِقْ دَعْوَةَ مُوسَى أَوْ دَعْوَةَ شَاوُلِ أَوْ الْوَعْدَ لِإِبْرَاهِيمَ فَحَسَبَ، لَكِنَّهَا رَافَقَتْ لِحْظَةَ وِلَادَةِ يَسُوعَ. مِنَ الْعَرِيبِ أَنَّ مَجْدَ حُضُورِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي الْكَهْفِ، وَلَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا فِي الْمَزُودِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ مَرْيَمَ وَيُوسُفَ، بَلْ إِنَّهُ ظَهَرَ لِعُلَيْقَةٍ فِي الْحُقُولِ خَارِجَ أُورُشَلِيمَ حَيْثُ كَانَ الرِّعَاءُ يَرْعَوْنَ عَنْهُمْ. وَنَقَرْنَا فِي قِصَّةِ عِيدِ الْمِيلَادِ بِقَلَمِ لُوقَا أَنَّ مَجْدَ اللَّهِ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ. وَيُعْجِبُنِي مَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ الْقَدِيمَةِ: "وَخَافُوا جَدًّا"، أَيْ أَنَّهُمْ ارْتَعَبُوا. فَكَانَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَهْدُوهُمْ قَائِلِينَ: "لَا تَخَافُوا". هُنَا، حَلَّ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ مَصْحُوبًا بِإِعْلَانِ مَنْظُورِ لِمَجْدِ حُضُورِ اللَّهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَنَا تَرْتَعِدُ

جَمِيعًا. لَكِنَّهُمْ قَالُوا: "جِئْنَا نُبَشِّرُكُمْ بِخَبَرٍ عَظِيمٍ، بِأَعْظَمِ خَبَرٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ: "أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ (بَيْتِ لَحْمٍ) مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ".

سَوْفَ نَكْتَشِفُ فِي الْأَسَابِيعِ الْمُقْبِلَةِ كَيْفَ أَنَّ مَجْدَ حُضُورِ اللَّهِ الَّذِي غَيَّرَ حَيَاةَ مُوسَى، وَغَيَّرَ حَيَاةَ شَاوُلَ، وَغَيَّرَ حَيَاةَ إِبْرَاهِيمَ، وَغَيَّرَ تَارِيخَ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ فِي بَيْتِ لَحْمٍ، لَيْسَ مُرْتَبِطًا بِاللَّهِ الْآبِ فَحَسَبُ، لَكِنَّهُ مَفْهُومٌ وَمُرْتَبِطٌ أَرْتَبَاطًا وَثِيقًا بِالْأَقْنُومِ الثَّانِي مِنَ الثَّالُوثِ. وَحَيْثُمَا ظَهَرَ اللَّهُ ضَمَنَ إِطَارِ "الظُّهُورِ الْإِلَهِيِّ" لِمَجْدِهِ الْمَنْظُورِ، فَهُوَ لَيْسَ حُضُورَ اللَّهِ الْآبِ فَحَسَبُ، كَمَا أَرْجُو أَنْ نَرَى فِي لِقَائِنَا الْمُقْبِلِ، بَلْ إِنَّ مَا يَظْهَرُ هُنَا هُوَ مَجْدُ اللَّهِ الْإِبْنِ مِنْذُ الْأَزَلِ.

إِذَا، لَيْسَ الشَّيْءُ الْمَوْجُودُ فِي تِلْكَ الْعُلَيْقَةِ هُوَ الَّذِي يَهُمُّ، بَلِ الشَّخْصُ الْمَوْجُودُ فِي تِلْكَ الْعُلَيْقَةِ هُوَ الَّذِي يَهُمُّ، الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُ مُوسَى قَبْلَ فُرُوقٍ مِنْ تَكَلُّمِ مُوسَى مَعَهُ عَلَى جَبَلِ التَّجَلِّيِّ. وَكَانَ هَذَا حَتْمًا أَرْوَعَ تَجَلَّى لِمَجْدِ حُضُورِ اللَّهِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ إِنَّهُ مِثْلَمَا كَانَتْ تِلْكَ الْعُلَيْقَةُ تَشْتَعِلُ مِنَ الدَّخْلِ بِدُونِ أَنْ تَحْتَرِقَ بِحَدِّ دَاتِهَا، هَكَذَا أَيْضًا، فِي حَادِثَةِ تَجَلِّيِّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنِ الْمَجْدُ الْمُعْلَنُ عَلَى الْجَبَلِ مُجَرَّدَ انْعِكَاسٍ، وَإِنَّمَا كَانَ مَجْدًا فِعْلِيًّا مُنْبَتِقًا مِنَ الْوَهِيَّتِ غَيْرِ الْمُعْلَنَةِ. لِأَنَّهُ حَيْثُمَا يَكُونُ مَجْدُ حُضُورِ اللَّهِ أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ، يَكُونُ اللَّهُ حَاضِرًا.

الدكتور آر. سي. سبرول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلْفَ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوِيُّونَ" (Everyone's A Theologian).